فلسطين (١٩٢٩ ، ١٩٣٦ ، ١٩٤٧) .

في صفحة ٩ من الكتاب يتساءل الكاتب هل قضية فلسطين من التعقيد بحيث لا يقدر احد من الاقوياء وغير الاقوياء على حلها ؟ ويستشهد بعدة قضايا معقدة تم حلها بأقل ما يمكن من الكوارث اذا ما قيست بالكوارث التي تمخضت عنها القضية الفلسطينية ويذكر على سبيل المثال الجزائر وجنوب اليمن وكوريا وكوبا . وينسى الكاتب في هذا المجال أن قضية الجزائر كلف حلها اكثر من مليون شهيد جزائري ونتج عن حلها استقلال الجزائر واعلان سيادة الشعب الجزائري على جميع اراضيه . وان الحكومة الفرنسية سبق وان عرضت على الشعب الجزائري عدة مشاريع « سلمية » مثل الحكم الذاتي ضمن الدولة الفرنسية ومثل التمثيل البرلماني للجزائر في البرلمان الفرنسي ولكن اصرار الشعب الجزائري على النضال من أجل السيادة الحقيقية والكاملة على ارضه هو الذي أجبر فرنسا في النهاية على الانسحاب كليا من الجزائر واعتبارها دولة ذات سيادة ذاتية . وقد دخلت الجزائر الساحة الدولية كدولة امنولة في تاريخ التحرر والاستقلال وعلى اثر معركة استقلال وليس على أساس مفاوضات استقلال وقد تمت هذه المفاوضات بعد معارك شديدة بين الجيش الفرنسي وقوات جبهة التحرير الجزائرية وكانت اقرارا لانتصار الثورة الجزائرية وليس استجداء منها لمنح الاستقلال .

أما مشاكل جنوب اليمن وكوبا وكوريا فلا تقل معارك استقلالها نضالا وتضحية عن معارك استقلال الجزائر . ولا بد من التنبه هنا الى أن الكوارث التي يصاب بها شعب مستسلم لا يمكن قياسها تاريخيا بالكوارث التي تأتي نتيجة للنضال حيث ان هذه الاخيرة هي التي تصنع تاريخ الامم والدول اما كوارث الاستسلام فهي التي يتم بواسطتها سحق الامم والدول والغاء وجودها السياسي والحضاري وهذا بالذات (وهو ما يعيه ابو شلباية ولكنه ربما تحت ظروف الاحتلال لم يتحول وعيه لاكثر من الرفض اللفظي للاحتلال او المطالبة بتحويل الاحتلال الى سلم متكافىء) هو ما تقف بوجهه الان الثورة الفلسطينية .فالثورة الفلسطينية — كفكرة وممارسة — ترفض ان يتقلص وجود الشعب الفلسطيني الى دويلة تابعة لاسرائيل مع الامل او التمني بأن تصبح هذه الدويلة فيما بعد جزءا من دولة عربية موحدة لا يمكن فصل العمل من اجل قيامها عن العمل من اجل انهاء السيادات الاجنبية (ومنها اسرائيل) عن الوطن العربي .

مرة اخرى يجب التشديد هنا عند مقارنة الكوارث والحلول التي نتجت عنها لعدة قضايا قومية او سياسية في التاريخ على أن القضايا التي اتبعت الشعوب في حلها اسلوب الكفاح المسلح ضد قوى محتلة مثل الجزائر وفيتنام وكوريا — باعتبار الوجود العسكري الامريكي احتلالا — او قوى محلية عميلة مثل كوبا وفيتنام الجنوبية كانت نتيجة الحل اعادة السيادة للقوى صاحبة الحق الاصيل في النزاع ولم يحدث ان نال فيها كل ذي حق حقه فكما لا يمكن تجزيء السيادة او منحها بالتقسيط كذلك لا يمكن تجزئة الحق ومنحه بالمطالب السلمية كما يحلو للطرف القوي في النزاع ان يوحي او يوهم الطرف الضعيف في المراحل الاولى من النضال او في لحظات يكون فيها الطرف الضعيف وكل ما ينتج عنه من فكر وتصرف واقعا تحت عوامل نفسية وفيزيولوجية ضاغطة — اجهزة اعلام الثورة المضادة ومؤسستها العسكرية .

اما تصوير القضية الفلسطينية على انها نزاع بين اطراف متساوية في شرعية مطالبها (يتحدث ابو شلباية في صفحة١٠ عن مصالح الشعبين الفلسطيني واليهودي ويقول بالحرف الواحد « تتلخص القضية الفلسطينية باختصار شديد في وجود شعبين فوق ارض فلسطين هما الشعب الفلسطيني والشعب اليهودي . ») فهو وقوع لا عذر فيه في مأزق تاريخي لا يمكن الخروج منه سوى باعتبار الحق اليهودي في فلسطين متساويا ومنافسا للحق الفلسطيني وهذا اعتبار مغلوط تاريخيا . ان مثل هذه الفرضية المغلوطة تتطلب عملية تزييف دينية وتاريخية وقد قامت الحركة الصهيونية وحكومة اسرائيل فعلا بمثل هذه العملية وليس رفض الشعب الفلسطيني للوجود الاسرائيلي في فلسطين سوى جزء من مرحلة التصدي لهذا التزييف . وقد تبرع عدة مؤرخين حياديين — من بينهم ارنولد توينبي وبرتراند رسل وماكسيمرودنسون — بايحاء منوعيهم للتاريخ ودراستهم الحيادية للوثائق والاحداث لفضح ادعاءات اسرائيل في حق اليهود التاريخي في فلسطين — وحتى قرار قبول اسرائيل في الامم المتحدة عام١٩٤٨ لم يتخذ على أساس وجود مصلحة